المادة: الأسلوبية وتحليل الخطاب الأستاذ: فريد زغلامي

المستوى: السنة الثانية ليسانس دراسات أدبية/ الفوج 03

المحاضرة الثانية: الأسلوبية التعبيرية (الوصفية)

تعتبر الأسلوبية التعبيرية (الوصفية) التي بشر بها وأرسى دعائمها اللسانياتي " شارل بالي" (ت 1947م) أحد أهم وأولى الاتجاهات الأسلوبية في العصر الحديث، والتي انبثقت من اللسانيات البنيوية لـ " فردينان دي سوسير" (ت 1913م). حيث اتجه بالدرس الأسلوبي وجهة وصفية محايثة نأت به عن الدراسة التاريخية التقليدية. وكان ميلاد هذا المبحث العلمي على يد " شارل بالي " في بداية القرن العشرين من خلال مجموعة من الأبحاث يقف على رأسها كتابه " دراسة في الأسلوبية الفرنسية" الذي نشره سنة 1909م.

أولا: مفهوم الأسلوب عند "شارل بالي":

يحدد " شارل بالي " الأسلوب على أنه:" مجموعة من العناصر التعبيرية في اللغة يكون باستطاعتها إحداث تأثير نفسي عاطفي على المتلقي"، أو هو " مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع أو القارئ"، ووظيفة الأسلوبية هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المؤثرة عاطفيا ووجدانيا. والأسلوب عنده هو أسلوب الجماعة الاجتماعية وليس كلام الفرد.

ثانيا: مفهوم الأسلوبية عند "شارل بالي":

يعرّف " شارل بالي" الأسلوبية على أنها:" علم يُعنى بدراسة وقائع التعبير في اللغة المشحونة بالعاطفة المعبرة عن الحساسية الشعورية".

فالأسلوبية التعبيرية تهتم بدراسة وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي الوجداني؛ فهدف "شارل بالي" هو اكتشاف القيم اللسانية المؤثرة ذات الطابع العاطفي، وتقديم

دراسة منظمة للخصائص الوجدانية القارة في الاستعمال الحي للّغة، والذي تختزنه الأصوات والمفردات والتراكيب.

ومما تقّدم يمكن القول: إن الأسلوب عند "شارل بالي" هو تلك العناصر الوجدانية أو العاطفية التي تطرأ على المعنى العرفي في أشكال لغوية معينة، وفي استعمالات معينة، وعمل الأسلوبي هو عزل هذه الأشكال والاستعمالات وتصنيفها وتبويب معانيها التعبيرية.

ثالثا: أقسام القيم التعبيرية في اللغة: ثمة قيمة ثلاثية للتعبير:

أ) **القيمة المفهومية أو العامة:** وتمثّلها الأصوات ذاتها مستقلة عن أي نبرة خاصة، ففي كلمة " **أشكركم** " مثلا قيمة إيصالية إخبارية بحتة تبلغ امتنان المتحدث.

ب)**القيمة التعبيرية:** وهي غير شعورية تقريبا، وتقوم على النظام الاجتماعي والنفسي والفيزيولوجي، فالنبر العفوي وغير الشعوري لكلمة "**أشكركم**" يكشف عن الأصول الاجتماعية والبيئية، وعن الميول النفسية والبيولوجية وغيره.

ت)**القيمة الانطباعية أو القصدية:** وهي قيمة جمالية أخلاقية تعليمية للتعبير، وتظهر في النبر الإرادي الذي يهدف إلى إحداث انطباع محدد لدى المتلقي، ويكون ذلك حين أعبر عن احترامي أو هزئي، أو حين أُحدث أثرا مضحكا (بتقليد لهجة من اللهجات مثلا)، أو حين أحاول أن أتميز بلهجة ما.

رابعا: أقسام الخواص التأثيرية أو الطابع العاطفي في اللغة:

يقسّم "شارل بالي" الخواص التأثيرية في اللغة أو الطابع العاطفي فيها إلى قسمين:

أ) **مؤثرات طبيعية:** وهي المؤثرات الكامنة في طبيعة الأشكال اللغوية التي تحمل في ذاتها خصائص تعبيرية معينة، وتتوزع هذه الأشكال على مستويات اللغة الثلاث (الصوتي، الصرفي، التركيبي)، مثلما يدل التصغير على التحبب أو التحقير.

ب) **مؤثرات استدعائية:** تكمن في العلاقة بين الأشكال اللغوية والظروف والمواقف والأوساط التي تستخدم فيها، فهناك لغات لبعض الطبقات الاجتماعية، ولبعض المهن، ولغات أجناس الخطاب (علمية، أدبية، ...)، ممارسات لغوية تعبر عن العلاقة أو الدور والمكانة الاجتماعية.

خامسا: مستويات التحليل الأسلوبي في الأسلوبية التعبيرية:

يستثمر التحليل الأسلوبي عند "شارل بالي" في دراسته للوقائع اللغوية ومحمولاتها العاطفية مستويات من التحليل مستمدة من الدراسة اللّسانية التي أرسى قواعدها " فردينان دي سوسير"، وطورها "بالي" أسلوبيا، وهذه المستويات هي مستويات اللغة المعهودة (الصوتي، الصرفي، التركيبي (النحوي)، المعجمي، الدلالي).

أ) **الأسلوبية الصوتية:** يقوم المحلل في هذا المستوى بمعالجة الإمكانات التعبيرية التي تعكسها التكوينات الصوتية وفق خصائص الصوت الفيزيائي، ومخارج الأصوات، ويندرج تحت هذا المستوى عدد جم من الظواهر تبدأ من استغلال العلاقة الطبيعية بين الصوت والمعنى في ظاهرة المحاكاة الصوتية، وصولا إلى استغلال تعبيرية الصوت المفرد من خلال درجة تواتره التكراري في سلسلة كلامية معينة مرورا بخصائص الصوت المختلفة (الجهر، الهمس، النبر، التنغيم).

ولا شك أن ثمة سجلات كلامية تعمد إلى استغلال هذه الطاقة التعبيرية بصورة واضحة، ويأتي في مقدمة هذه السجلات: الإعلانات، كلام الأطفال، الشعر. فمثلا في إعلان عن أحد المياه الغازية أن كلمة **(منعش)** قد كتبت بالشكل التالي(منعششش)؛ وذلك استغلالا لتعبيرية صوت "الشن" وما يثيره تكراره من محاكاة لصوت فوران هذه المياه عند فتح الزجاجة. فطريقة الأداء الصوتي ذات أثر في القيم التعبيرية، ففي قولنا: "**ما شاء الله**"، وهي جملة تقابل للتعبير عن التعجب واستحسان الفعل، فلو نظرنا إلى

هذه الجملة من الناحية الصوتية نجد أنها قد تعبر عن : التقدير، أو السخرية والضحك، أو الاستغراب والاستهجان ... .

ب) **الأسلوبية الصرفية:** وهي تعالج الجوانب التعبيرية الكامنة في طبقة التكوين الصرفي للكلمة، وفي المدى التوزيعي الذي يشغله نوع من أنواع الكلم (أسماء، أفعال، صفات، ظروف...) في سلسلة كلامية معينة، وفي العلاقات الدلالية (الترادف، التضاد...) القائمة بين الكلمات في هذه السلسلة، وفي المجالات الدلالية التي تنتمي إليها هذه الكلمات. وتطرح الكلمة المفردة بمستوياتها الصوتية والصرفية والدلالية عاطفة أو فكرة. فمثلا تكتسب صيغ التصغير والتحقير والهزل والسخرية وغيرها من الصيغ دلالات أسلوبية جديدة في سياق تعبيري مغاير.

ت) **الأسلوبية التركيبية (النحوية):** وهي تعالج الطاقات التعبيرية الكامنة في أشكال التركيب النحوي للجمل؛ وذلك مثلما يحدث – لاعتبارات تعبيرية– من تقديم وتأخير وحذف واختيار بدائل تركيبية لصيقة بالتعبير عن الجوانب الوجدانية، مثل: التعجب، والمدح والذم، والاستفهام، الندبة، الترخيم ... .

ث) **الأسلوبية المعجمية:** وهي تعالج الوسائل التعبيرية للكلمات في لغة معينة، وما ينشأ عنها من ظواهر وحالات الترادف والإبهام والتضاد والتجريد والتحديد والغرابة والألفة، وتقوم المفردات بدور مهم في تحديد العناصر الأسلوبية، وهي ذات أثر في الكشف عن معايير اللغة وخواصها، وتحدد العناصر المتصلة بالذهن والعاطفة، فقد مرّت المفردات بأطوار تاريخية اكتسبت خلالها مدلولات مختلفة نتيجة للاستخدام، وعليه تتكئ الأسلوبية المعجمية في معرفة السجل التاريخي المحيط بلفظة ما أو مفهوم معين.

ج) **الأسلوبية الدلالية:** يتم التّعرف على الفكر والناحية النفسية عن طريق الاستعانة بدلائل الكلمات، ويطرح " شارل بالي" على مستوى الدلالة رؤية تقوم على:

ج-1- الآثار الطبيعية: ومجال دراستها يتصل بالصوتيات والصرف، حيث تمثّل العلاقة بين الصوت والمعنى من ناحية، وبين صيغة الكلمة ومكوناتها ولواصقها وبين الدلالة من ناحية أخرى، كي نعزو إليها قيمتها الأسلوبية.

ج-2- الآثار الإيحائية: وتشكّل ميدانا رفيعا للدلالة الأسلوبية؛ إذ ترتبط بمواقف وبلغة خاصة، كلغات الأجناس والعصور والطبقات والفئات الاجتماعية والأماكن. فكل فكرة تتحقق ضمن سياق وجداني، ومثال ذلك الأمر في قولنا:" **افعلوا هذا، آه، لو أردتم فعل هذا**"، وأكون بهذا قد عبّرت عن رغبتي وعن أملي.

ج-3- الصورة وتغير المعنى: حيث تدرس أسلوبية التعبير كيفية تغير المعنى من خلال الاستعارة والمجاز، ويمكن توضيح ذلك بهذا المثال: "**يذوب الفتى الحياء**"؛ إذ يمكن أن يكون أثرها إعجابا أو سخرية أو أثرها جماليا أدبيا.

سادسا: تطور الأسلوبية التعبيرية بعد " شارل بالي":

إن تركيز "شارل بالي" على المحتوى العاطفي في الأسلوب صرفه عن الاهتمام بالقيمة الجمالية للأساليب المستعملة، كما أن اهتمامه بالاستعمال الجمالي العفوي للغة في جانبها الشفاهي ابتعد به عن اللغة الأدبية المكتوبة؛ وذلك بحجة استبعاد الأعمال الفنية المبنية على القصد المنافي للعفوية، وهذا راجع لتأثره بـ "سوسير" الذي استبعد الكلام أو الجانب الفردي من اللغة في دراساته الألسنية، فهو اهتم بدراسة اللغة مفردات وقواعد، ولم يهتم بدراستها استعمالا.

وبسبب هذا القصور الذي خيّم على أسلوبية "شارل بالي" سارع تلاميذه وأتباعه من مثل: "**مارسيال كريسو**"، "**جول ماروزو**"، "**ستيفان أولمان**" إلى عزل الأسلوبية عن الخطاب الإخباري الصرف، وقصرها على الخطاب الفني الجمالي، من خلال دراسة الاستعمالات المختلفة للكلمات وتراكيب الجمل، ومنه يصبح المجال الأدبي هو الميدان الأولى والحقيقي بدراسة الأساليب على اعتبار أنها تحوي على ملامح تزيد عن مجرد التعبير أو النقل.

إن العمل الأدبي، والقول لـ "**كريسو**"،:" يزوّد الأسلوبية بمواد تحتاجها كي تتابع إنجازاتها، إنها مواد ملائمة ومريحة"؛ ذلك أن الكاتب أو المبدع يقوم خلال إبداعه باختيار عناصر تعبيرية اختيارا واعيا يهدف إلى التأثير في المتلقى. وعلى دارس الأسلوب فحص هذه العناصر اللغوية التعبيرية لاستخلاص قيمها ومميزاتها، فهي تعكس أسلوب المبدع وفرادته في استخدام اللغة، دون إهمال الجوانب النفسية المصاحبة لعملية الإنتاج.

مراجع المحاضرة:

1) بيير جيرو، الأسلوبية، تر (منذر عياشي).
2) يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق.
3) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي.
4) نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب.
5) عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية.